الذكرى الـ 33 لاندلاع «الحرب الأهلية» في لبنان:
نسيان «بالتراضي» يطيل المرحلة الانتقالية ويحول دون النقد الذاتي

لا يزال تاريخ 13 أبريل محفوراً في ذاكرة اللبنانيين، كل اللبنانيين، فهم اختاروا «النسيان بالتراضي» مبدأ لطي صفحة الحرب الأليمة، ولم يفلحوا في التخلّص من كوابيس الماضي، ولم يتمكنوا من الإقلاع بثبات نحو المستقبل.

بيروت - ليال أبورحال

ثلاثة وثلاثون عاما تفصل بين 13 أبريل 1975 و13 أبريل 2008، وذاكرة اللبنانيين لا تزال مثقلة بصور الحرب ورائحة الموت ودخان الدمار.

ثلاثة وثلاثون عاماً مرّت، واللبنانيون لم يتمكنوا بعد من أن يتصالحوا مع أنفسهم، فتجدهم عند كل مفصل، تارة يخونون ويهددون بعضهم بعضا ويستحضرون ملفات الماضي ومصطلحاته، وطوراً يخافون من عودة شبح الانقسام والحرب الأهلية، الذي ما انفك يطاردهم.

لا مع أنفسهم، ولا مع الآخرين، ولا حتى مع ماضيهم، تصالح اللبنانيون، فالخضوع لـ«نسيان المصطنع» واستصدار قوانين العفو، كل ذلك أدى الى تغييب متعمد لمفاهيم الحقيقة والمصارحة والمصالحة والمساءلة، وإذا كان العقاب قد منع عن جميع الاطراف اللبنانية لطي الصفحة السوداء، فانه لا يجوز ان يحول ذلك دون اعتراف كل طرف بمسؤوليته، واجراء نقد ذاتي موضوعي وهادف، من شأنه ان يحول دون الوقوع مجدداً في فخ الحرب الاهلية.

اعتذار لبناني - فلسطيني

وفي سياق متصل، كان لافتاً أمس اعلان توقيع 44 شخصية مسيحية لبنانية اقراراً مكتوباً للاعتذار عن «أعمال غير مبررة أدت الى سقوط ضحايا بريئة من اخواننا الفلسطينيين»، رداً على اعتذار فلسطيني رسمي، غير مشروط، صدر عن ممثل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان عباس زكي في 7 يناير الماضي تحت عنوان «اعلان فلسطين في لبنان»، ودعا الفلسطينيين واللبنانيين الى «تنقية الذاكرة والانفتاح الصادق على مصالحة في العمق تليق بأصالة شعبينا».

صحيح ان الحرب العسكرية توقفت الآن، رغم ان ادواتها متوافرة، لكن اللبنانيين يعيشون في كل لحظة حرباً أشد وطأة عليهم، هي الحرب النفسية والاقتصادية، تمنعهم من الحلم بغد أفضل، وما الهجرة المستمرة للشباب والأدمغة، لا سيما بعد حرب يوليو 2006، والتي تزيد الازمة الراهنة من حدتها، الا خير دليل على ذلك.

بعد سنوات الحرب الأهلية، وتلك التي تلتها، لا يزال اللبنانيون يتخبطون في مرحلة انتقالية، وعاجزين عن بناء دعامات جسور متينة تنقلهم من ماض أسود الى غدٍ مشرق. وفي هذا الاطار، كثيرة هي مؤسسات المجتمع المدني التي عملت ولا تزال تعمل في لبنان من اجل ارساء مفاهيم المصالحة والعدالة والحقيقة وثقافة السلام والحوار، وتطالب بكشف مصير المفقودين والمخطوفين الذين يقارب عددهم الـ23 ألفا، وقد تكون زحمة النشاطات عشية ذكرى 13 أبريل دليلا على حجم الجهود المبذولة، لكن ضغط المجتمع المدني هذا لم يثمر بعد نتائج ملموسة وانجازات نوعية، في ظل غياب ارادة سياسية ورغبة وطنية جامعة في تحقيق مصالحة شاملة ومعرفة الحقائق كاملة، لا أنصاف الحقائق.

«العدالة الانتقالية»

قد يكون تطبيق مفهوم «العدالة الانتقالية»، أكثر ما يحتاج اليه لبنان اليوم، و«العدالة الانتقالية» كما يشرحها نائب رئيس لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب إفريقيا، وأحد مؤسسي المركز الدولي للعدالة الانتقالية الدكتور أليكس بورين، هي المرحلة التي تمر بها دولة ما من ظرف الى آخر، وغالباً ما تكون هذه المسيرة ليست بقصيرة، ومحفوفة بمخاطر جمة.

بورين الذي يزور لبنان بدعوة من جمعية «أمم» للأبحاث والتوثيق، في اطار مشروعها الذي أطلقته عشية ذكرى الحرب بعنوان: «ما العمل؟ لبنان وذاكرته حمالة الحروب»، يشدد على ان الحقيقة الكاملة وحدها كفيلة بتطهير الكراهية واستئصال الحقد، رغم أنها قد تكون مرة وجارحة في كثير من الأحيان.

ويوضح أن إظهار الحقيقة هذا رهن بقدرة الدولة في المرحلة الانتقالية على التجاوب مع متطلبات المرحلة الجديدة، وهي تحمل في طياتها الكثير من الفرص الرائعة، التي من شأنها ان تؤدي الى ولادة السلام المستدام والديموقراطية، وتالياً عودة الازدهار الاقتصادي.

تقدير الذاكرة وتعويض الضحايا

لا شك ان المقارنة بين تجربتي الحرب في لبنان وجنوب افريقيا لا تصلح في هذا السياق، فلكل دولة وفقا لبورين، خصائصها وتاريخها وثقافتها ونقاط قوتها الخاصة وصراعاتها، لا بل أيضاً «قلبها النابض»، ويستخلص من المسار الطويل الذي قطعته جنوب افريقيا بدءاً من التمييز العنصري وصولاً الى المصالحة والعدالة مجموعة من المبادئ التي يمكنها أن تشكل أرضية صالحة للانطلاق نحو المستقبل، والتخلص من عبء الماضي... ويحددها كما يلي:

- الاعتراف بأن الامور ليست على مسارها الصحيح والسليم في الوقت الراهن.
- تقدير الذاكرة التي تشتمل على كل نواحي الماضي، وتركز على الحقائق كاملة.
- القدرة على التسوية واتخاذ تدابير منصفة تضمن حقوق الجميع.
- تحقيق العدالة للجميع.
- خلق الأجواء التي يصبح الغفران ممكناً فيها.
- توفير التعويضات للضحايا الذين لا يمكن تركهم جانباً.
- القبول بأن المصالحة أليمة ومكلفة، ويجب أن نعمل من اجلها في كل يوم.

بورين، الذي يسهب في شرح الدور الذي أدته لجنة «الحقيقة والمصالحة» في جنوب افريقيا، أمل ان «يصبح لبنان بلداً من الناجين من الماضي ليطالب مواطنوه بحقهم في تقرير المصير وتحقيق الوحدة»، لافتاً الى ان «البعض يقول إن لبنان بلد الضحايا، والجميع عانوا فيه من الماضي بطرق مختلفة».

وإذا كان بورين يشبه الحقيقة بدواء شديد المرارة لكن فوائده الصحية عديدة، يبقى أمام المريض خياران: إما الاقتناع باتباع تعليمات الطبيب وتحمل مشقات العلاج وعلقم الأدوية على أمل الشفاء التام والانتصار على المرض، وإما الاستسلام له بالمكابرة والاستغناء عن الادوية والعض على الجرح، معرضاً نفسه لمخاطر قد تقوده الى الوهن وربما الهلاك.

نظمت هيئات شبابية في بيروت أمس، نشاطات مختلفة في الذكرى الـ33 لاندلاع «الحرب الأهلية» في لبنان، وفي الصورة شبان يجلسون على مراحيض وضعت خصيصاً لهذه المناسبة، وقبالتهم «يافطة» كتب عليها «ألم يكفنا الاختباء 15 سنة في الحمامات؟»، في دلالة على رفضهم للحرب.
(تصوير وائل حمزة)